خامساً
الحَبْكَةُ في القِصَّةِ

معنى الحبكَةِ:

يُقصَد بالحبكة اختيارَ الأحداث القصصية نوعاً، وكمّاً، ونسيجاً، وإظهارها في سياقها القصصي الملائم زماناً ومكاناً، وإنماءها أو تجميدها وفقاً للشروط والمقتضيات الطبيعية لها، وتخطيطها تبعاً للخلفيات المؤثرة ودوافعها المستترة، وإثارة توقعات القارئ وأشواقه، بمختلف طُرق التشويق وإثارة الانفعالات ووضع الشخصيّاتِ في مواقف جديدة.. وقد يكون ظهور الصراع في القصة جوهرَ كلّ حبكة ناجحة بدءاً من حالة التوازن الداخلي للشخصيَّة مع ذاتها أو ما حولها، وتوسطاً بكسر التوازن بطريقة مثيرة يعقبه اشتدادُ الصراع وتصاعده، وانتهاءً بتأزم الموقف وبلوغ الأمر ذروته ثمّ تضاؤل شدة الصراع وانفراج الأزمة وعودة التوازن إلى الشخصيّة، وقد توافرت للقصة كلُّ مقوِّمات الحبكة الناجحة، ولنتكلَّم الآن بشيء من التفصيل عن هذه العناصر والتفاصيل الضروريّة.

ترقُّبُ الأحداثِ:

تبدو أحداث القصة مقدَّرة تقديراً منضبطاً، لا تتحرك ولا تنمو إلا بحساب، ولا تظهر إلاّ متزامنة تزامناً مشروعاً، مع بنى العمل القصصيّ السابقة عليها أو اللاحقة بها، وكمثال على ذلك فإن حضور السَّيارة قد تزامن مع إلقاء الإخوة ليوسف في البئر، وتبدو أهمية هذا التوقيت في إمكان موت يوسف في البئر جوعاً في حالة تأخُّر هذه السَّيارة، ومن ثم انقطاع شريط القصة، انقطاعاً مفاجئاً ونهائياً لغياب البطل عن تمثيل دوره الرئيس فيه، ولم يكن مصادفة أن يكون يوسفُ وامرأة العزيز قد ﴿ وَأَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الْبابِ ﴾.. إنَّ هذا الحضور المقدَّر قد ساهم في تطور الحدث القصصي ونموّه، فتوقيت هذا الحدث الحضوري قد أحدث ما حدث بعده وبالشَّكل الذي جعل حركة القصة في تساوقٍ، وذلك ضَمن للخط البيانيّ لشوق القارئ العروج والارتفاع، كما دفع أمواج الصراع إلى مواقع أكثر تقدُّماً، ونقاط أعقد تأزماً، مثيراً بذلك ألواناً شتّى من الانفعالات والمواقف.

فقد كانت رؤية العزيز وشاهد القضيّة.. يوسف، ممزق القميص من دبرٍ، خارجاً من الباب، وكأنَّه خارج من غرقٍ

وشيك، والمرأة وراءه تنطق ملامحها بما تضمُّ جوانحها، سبباً جوهرياً من أسباب تبلور قناعتهما معاً بصدق يوسف في ادعائه البراءة، وافتراء المرأة عليه بما زعمته من إرادته السوءَ بها.. ولو افترضنا تأخير العزيز عن شهود هذا المنظرِ الساخن، فقد كان من المحتمل أن لا يتطور الحدث ويمتدَّ بالكيفية المقدرة له في بنية القصة، كأن يغيِّر يوسف قميصه أو يصلحه، أو يغادر القصر إلى حيث لا يلتقي بأهله وشخوصه. أو تقدم المرأة على أمر آخر فتدخل عناصر حديثة مستجدّة على كيان القصة تغيِّر مسارها، أو تعطِّل نموها، وعلى الأقل فإن هذا التأخُّر يحرم العزيز وشاهده من معاينة ملامح المرأة لحظة المراودة، وهي ناطقة باجتياح الهوى لمساحات شعورها وفيضها على معالِم وجهها وأساريرها

للحوادثِ مُسَوِّغاتُها:

وإذا كان من علائم قوَّة الحبكة تسويغ الأحداث، وبُدُوّ قانون الأسباب من ورائها، فإنَّ القصة تعلِّل للقارئ كلَّ حدث من أحداثها التفصيليّة.

حين يتآمر الإخوة على يوسف، فإن هذا التآمر لا يعرض في القصة إلاّ مقروناً بعلَّته الواقعية وهو قولهم: ﴿لَيُوسُفُ

﴿ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينا مِنّا ﴾. وقولهم في تسويغ تآمرهم وتنفيذ مخططهم: ﴿ اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾.

وتقف مشاعر الخوف على يوسفَ والحزن على فراقه وراء رفض يعقوب إرساله مع إخوته: ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ وكذلك يعلِّل الإخوة قدرتهم على حماية يوسف بكونهم عصبةً ذات قوّة وسلطان.

وهكذا فإن كلّ حدث في القصة لا يساق دون ربطه بغايات في نفوس محدثيها وصانعيها، فوراءَ طلب العزيز من امرأته إكرام يوسف غاية نفعيَّة حيويَّة مضافة إليها تحقيق غريزة حفظ النوع في ذاته ﴿ أَكْرِمِي مَثْواهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾ والسوء والفحشاء لم يُصرفا عن يوسف اعتباطاً، بل إن جهداً أخلاقياً داخلياً بذله يوسف كان وراءَ ذلك الصرف: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنا الْمُخْلَصِينَ ﴾. والإخلاص جهد متميز، والهمّ اليوسفي قد تجمَّد في موقعه وتعطَّل عن النمو لأن ضوء التقوى الأحمر قد أشار للنبيّ الكريم أن يتوقف عن السَّير، ويغيِّر اتجاهه نحو باب الخلاص ﴿ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهانَ رَبِّهِ ﴾.

وما حازه يوسف من موهبة التعبير قد يكون معلَّلاً بتركه لدين المشركين الذين لا يؤمنون بالله تعالى ويكفرون بالآخرة، واتِّباعه خطَّ الحنيفية الذي ينقي القلب ويطهِّره من عتمة الآثام في التصوُّر والعقيدة والتوجه، ويؤهلها للاتصال بعالم الغيب والشهادة والاستمداد المعرفيّ منه: ﴿ ذَلِكُما مِمّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي ﴾.

ويوسف لبثَ في السجن بضع سنين، لأن الشيطانَ كائن الشَّرِّ في الوجود قد غطَّى على فكر الساقي بإلهائه، فنسيَ واجبه الأخلاقي في ردِّ الإحسان بمثله ﴿ فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾، ولقد كانت حاجة من الحاجات الملحَّة في نَفْس يعقوب وراء طلبه من أبنائه أن يدخلوا من أبوابٍ متفرقةٍ لا من بابٍ واحدٍ، وقد أخَّر السياق ذكرها تشويقاً للقارئ، ومفاجأة، وإثارة لحبِّ استطلاعه. وقد يتساءل القارئ لماذا احتكم يوسف إلى القانون الإسرائيلي في مسألة سرقة صواع الملك التمثيلية؟ فيأتيه التفسيرُ بعد نهاية المشهد والقارئ مشغول البال باستجلاء سرِّه، القانون المصري الملكي كان يحكم بتغريم السارق وذلك لا يناسب أغراض البطل فيها، وبذلك لجأ إلى استحصال موافقة

المتَّهمين الطبيعية بالحكم بينهم بقانون إسرائيل الذي يحكم بحجز السارِق وأسره.

وهكذا تتماسك القصَّة بعقد الأسباب الطبيعية، والنتائج الحتمية الناشئة منها، فلا تبرز أحداث ناشزة، ولا تظهر مواقف لا تفسير لها، وحتى المشاهد شبه المسرحيّة[1] منها تبدو محكمة العقدة، مسوّغة، طبيعية، لا تَصَنُّعَ فيها ولا تكلُّف، وإذا كان في القصة جزئيةٌ غير مسوغة عقلياً كالسر الغامض في قميص يوسف مثلاً[2]، فإن ذلك ناشئ عن كون بطل القصة نبياً قد تُكْشَفُ له بعض قوانين الكون والحياة.

الشخصيَّةُ تواجهُ مواقفَ جديدةً:

لقد واجهت شخصيّات القصة مواقف كشفت عن بواطنها وحياتها الداخلية وقيمها ودوافعها وأبعاد نظرتها إلى الحياة، فالأحداث المأساويَّة التي مرَّت بيوسف جعلته يواجه تباعاً مواقف جديدة، اتخذ في مواجهتها سلوكاً خاصاً تطلَّبه الموقف أو الظرف الجديد، أو تصرَّف في معالجتها تصرُّفاً ينبئ عن رؤيته الخاصة للحياة وقيمها، وكذلك كلّ شخصيات القصة تقريباً تبدو شخصيات نامية متحركة من

(١) أقصد به مشهد اتهام يوسف لإخوته بسرقة صواع الملك.

(٢) ومثله إحساس يعقوب عليه السلام بالفرج بقوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾.

خلال تعاقب المواقف التي مرَّت بها. وذلك من سمات الحبكة الناجحة التي توظّف الشخصيات لخدمة المسار الحركي للقصّة بإدخالها في صميم الأحداث المنوَّعة والمرتَّبة بشكل يحقق قوة البناء القصصي، ويضمن فاعليَّته التأثيرية.

فبطل القصة يوسف عليه السلام ساقته الحبكةُ القصصية نحو مواقف جديدة وباستمرار، وكأنَّ تصرفه فيها، وتجاهها ينمي القصة ويُغذِّيها ويثري حلقاتها المتتابعة، وينبئ في الوقت ذاته عن مستور مبادئه ونظراته المتميِّزة إلى الحياة وقيمها النبيلة التي لا يطيب عيش الكرام بدونها.. وهكذا كان.. يتآمر الإخوة على يوسف، ويُلقى في البئر فتأتي سيَّارة القدر لتأخذه إلى أرض مصر بالذات، ليشتريَه من بين كل المشترين العزيز الذي ستراوده امرأته عن نفسه، ويتَّخذ يوسف موقف الرفض الحاسم للفتنة، فيقوده موقفه للسجن.. لكن حسن خلقه المعبِّر عن طيب نفسه وكرم منبته وسموّ قيمه مهَّد له سبيل الخروج من السجن، إذ إن صاحبي سجنه توسَّما فيه الموهبة التعبيريَّة والذكاء الداخلي فاستشاراه في تفسير ما حلما به.. وحينَ خرج أحدهما من السجن، وهو ساقي الملك عاد ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ﴾.

وتوالت السنون على بقاء يوسفَ في السجن، فإذا الملك يرى رؤياه التاريخية التي رفعت يوسفَ إلى مدارج المجد،

وتسببت في الوقت نفسه في إثبات نزاهته الأخلاقيَّة.. وهكذا توالت الأحداث وكلّ موقف للبطل منها يدفع القصة دفعاً محبوكاً إلى نهايتها المُقَدَّرة، ويفصِّلها تفصيلاً محكماً، ويُبرز معالم عمارتها الفريدة، وقد اقتضى ذلك من البطل أحياناً أن يتخذ موقفاً (تمثيلياً) كموقفه الاتِّهامي لإخوته ورميه إياهم بالسَّرقة؛ ليتحقق له مبتغاه في إبقاء أخيه لديه ولتسيرَ القصة مسيرها الموزون.

وكذلك سائر المواقف التي وقفها أبطالُ القصة الآخرون أثرت تأثيراً إيجابياً في إحكام البناء القصصي وتكامل أجزائه. واعتذار يعقوب عليه السلامُ لأبنائه حين طلبوا منه إرسال يوسف معهم، وتعليله لرفضه ذلك الإرسال بخوفِه من أن يأكله الذئب، قد مهَّد لمسار القصة المعهودة، إذ إنَّ الإخوة غلَّفوا مؤامراتهم بما خاف منه الأب الرؤوف فعلاً، وزعموا بأن الذئب قد أكله فعلاً.

كما أن اتِّخاذ يعقوب لموقف المستسلم لإلحاح أبنائه وضغطهم عليه ليرسلَ معهم يوسف تارةً وأخرى أخاه، لأسباب نفسية ومادية، قد جعل موضوع القصة يتَّخذ شكله ويستكمل حلقاته، ويحقق من ثَمَّ الأهداف المقصودة من تنزيله.. إذ ماذا كان يحدث لهذا السياق مثلاً لو امتنع الأب عن إرسال

يوسف مع إخوته، مؤثراً حفظ حياة ابنه وتأمين وجوده على إشباع حاجة اللعب والمَرحِ والتسليةِ في نفسه؟ وهل كان سيحدث ما حدث ليوسف وإخوته وغيرهم من أبطال القصَّة لو أن العزيز اختار عقوبة التعذيب ليوسف دون السجن، بصرفِ النظر عن كون اختياره هذا ظاهر التأثر برغبة زوجته التي تبدو واضحةً في تقديمها لهذه العقوبة على أختها؛ في تسلسل كلامها الذي يشبه عرض ممثل الادعاء العام في المحاكم ﴿ إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ ﴾. القصة إذن حافلة بالمواقف الجديدة التي وقفتها شخصياتها سواء أكانت مواقف صلبة أم مائعة، إرادية حازمة، أم اضطرارية مُستَكرَهَة عليها، أخلاقيَّة أم أهوائيَّة، وليدة اللحظات والظروف الآنية أم واضحة التدبير والتخطيط، ولم يكن من الممكن أن تستمر حركة القصة وتظهر تفاصيلها لولا هذه المواقف.

إثارةُ الانفعالاتِ:

والقصةُ بعدُ تثير في نفوسنا شتَّى ألوان الانفعالات التي تتماوج داخلنا تبعاً للإيحاءات المنسابة من خلاياها، ولقد ينسى القارئ المرهف الإحساس أنَّه بصدد قراءة قصة تاريخية، فيتصور أنه إنما يعايش أحداثاً آنيَّة تَجْري أمامه، فهو يتطلع بإشفاق إلى حالةِ يوسفَ في البئر المظلمة المهجورة،

ويشاطره آلام وحدته ووحشته، ويتضامن مع يعقوب في بثّه شكواه وحزنه إلى الله، ويتلهف إلى قرارٍ عادل من العزيز في حقّ يوسف المتَّهم ظلماً، ولقد ينتاب القارئَ فُضولٌ وقَلَقٌ على امرأة العزيز وهي تكاد تتردَّى في هاوية العبودية لنداء الرغبة الجامحة العاتية، وسكون خاشع وطمأنينة مؤمنة حين يراها ثائبة إلى رشدها، تائبة إلى ربِّها.. ولا تزال الخواطر تنثال والمشاعر تتوارد على صفحة القارئ نفسه حتى تُتوّج جميعاً وتنصهر في بوتقة الفرح الغامِر الذي يستولي على أرجاء وجودها بعد شهود الخاتمة المريحة للقصةِ.

الغموضُ والمفاجأةُ:

إذا كان عنصر الغموض والمفاجأة ذا أثرٍ بالغٍ في إثارة تطلع القارئ إلى عوالم القصة الملوَّنة المتعاقبة، فإنَّ القصة مشتملة على بعض الأحداث المعجِزة التي قد تستوقف القارئ، وتدفعه إلى متابعة الحدث القصصيّ. فقد كان إرسال يوسف لقميصه مع إخوته ليُلقَى على وجه أبيه ليرتدَّ إليه بصره مثار لفتٍ لانتباه القارئ وجذب لاهتمامه المتواصلِ بالقصة، فقد خرق هذا العنصر الحَدَثِيُّ المعجِز الإيقاعَ المألوفَ لحركة القصَّة وأكسبَ الحبكة حيويةً وتألُّقاً، وأسبغ عليها مسحة من الغيبية المحبَّبة، إذ جعل القارئ يتوقف لمعرفة حلِّ إشكالية

هذا العنصر.. وكانت المفاجأة السَّارة حين ارتدَّ الأب بصيراً وانفتحت كلّ العوالم المحسوسة أمام بصره. كما كانت الأحلام والرؤى التي رآها أبطال القصَّة بمثابة عناصر غامضة ساهمت بتتابع في خلق أجواءٍ مشحونةٍ بالاستغراب والدهشة والترقُّب في نفوس القرّاء، ومن ثَمَّ كانت عوامل فعّالة لحملهم على استشراف دلالاتها وأبعادها الواقعيّة.

التدرُّجُ والانفراجُ:

وتأزُّم الموقف القصصيّ يخضع للتدرُّج، ثم يتبع التأزيم بالانفراج في (تدرُّج صاعد نحو التأزيم، أو تدرُّج هابط نحو الانفراج)[1]، فبطل القصة مثلاً قد مرَّ بأزمات متعاقبة عديدة، لكنّ هذه الأزمات انحلَّت الواحدة منها بعد الأخرى، بعد معاناة وأحداث متواصلة وحوارات حيوية ومبادراتٍ ومواقفَ متنوعة، وكان الزمن فيها جزءاً من العلاج، والصبر لوناً من ألوان الدواء الناجح لحلِّ هذه الأزمات، كما كان فضل الله تعالى وراء كلِّ حدث يولد في سيرة البطل أو أزمة يُبتلى بها أو انفراج يُمَنُّ به عليه.. وهكذا انحلَّت أزمته في غَيابة الجُبِّ، وفي السجن، بتدرُّج محكم، وتطوُّر عابر لمستويات قصصية شتّى.

(١) د. محمد بن حسن الزير: القصص في الحديث النبوي، ص١٩٩.

وقد تأزم موقف الأب تدريجياً، فقد حرم من ابنه المُفضَّل وعاش حالةً أليمة بين اليأس من عودته، وبين شعاع من الأمل في تلك العودة. وازدادت أزمته تعقيداً حين حُرِمَ من ابنه الثاني.. لكنَّ بوادر الانفراج بدأت تَلُوح في الأفق؛ فما أن همَّ أبناؤه بالسفر إلى مصر حتى انسربَ نور من الرجاء في قلبه؛ دفعه إلى أن يخاطبهم بقوله: ﴿ يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ وبالتدريج بدأت غمَّته بالانكشاف، وقرَّت عيناه بلقاء ابنيه والتئام شمل أسرته واستقرار الجميع في أرض مصر آمنين معزَّزين. وقس على ذلك أزمة امرأة العزيز، إذ إنها مرَّت بمراحل عدَّة، بدءاً من مرحلة ابتلائها بحب فتاها، ولجوئها تحت سوط الرغبة إلى مراودته في بيتها، وتبلور ذلك الاشتداد والتأزُّم في صورة إصرارها العنيد على تحقيق مرادها، وإعلان ذلك الإصرار على الملأ النسائيّ، وتهديدها للنبي البطل (يوسف) بالسجن، وتنفيذها لتهديدها!!.. وإذا كانت القصة قد أسدلت الستار على أزمة هذه الشخصية بعدَ دخول يوسف السجن، فإنَّ العدَّ العكسي في مسار هذه الأزمة كان قد بدأ فعلاً. ذلك أن مجريات الأحداث المتراكمة والمتوالية في السجن وقصر الملك كلنت تتَّجه نحو محصلة نهائية تكشف أزمةَ البطل، كما

تكشف تباعاً أزمة الشخصية سالفة الذكر، حيث حَصْحَصَ الحقُّ، وانفرجت أزمتان مزدوجتان وبتدرُّج بطيء أكَلَ من عمرِ كلٍّ من الشخصَين ﴿ بِضْعَ سِنِينَ ﴾.

التَّشويقُ:

بمناسبة الحديث عن حبكة القصَّة لا يمكن للباحث أن يغضَّ من أهمِّيَّة التشويق ودوره في إضفاء الجدَّة والحيويَّة على الحبكة القصصية وقد ذكرنا في المقدِّمة أن القصة قد افتتحت بأربعة ألوان من التشويق إضافة إلى احتواءِ القصة على عناصر تشويقية أخرى كالعناصر الغيبيَّة المتميزة بسماتٍ من الغموض والتشابه والغرابة المتمثِّلة في الأحلام والرؤى التي رآها أبطال القصة، التي تجعل القارئ متلهِّفاً لفكِّ متشابهها، واكتشاف أسرارها، ومتابعة الأحداث القصصيَّة لإشباع تلهفه وتطلعه هذا.. وكَلَونٍ من ألوان التشويق فإن القصة تحوّل مجرى الأحداث لتنقل القارئ من مشهد إلى آخر، ومن صورة إلى أخرى، لكيلا يملَّ ويسأم من مواصلة القراءة القصصيَّة، فتارة تطلعه على مشهد تآمر الإخوة على أخيهم بكلِّ ما فيه من وحشية وقسوة، وسرعان ما تتبعه بمنظر سيّارة الإنقاذ التي تلتقط الصبي المظلوم، ثمَّ يبيعه أهلها وهم فيه زاهدون، وهكذا تتوالى شتى المشاهد واللقطات

والمناظر، شدٌّ وجذبٌ بين البطل والمرأة المفتونة، استعراض نسائيّ في قصر العزيز، صورة للبطل في السجن ونشاطه فيه، صور من بيت يعقوبَ عليه السلام في أرض كنعان، صور من قصر الملك في مصرَ، مشهد تبوّء يوسف عليه السلام عرش هذه الدولة، وتكريمه لأبويه ورفعه إيّاهما على العرش والأبناء في حالة سجود احترامي لهما.. إلخ. فلا يكادُ القارئ يبغي عن القصة حولاً، ولا يقرُّ له قرار بفراقِ أجوائها حتى يشهد نهايتها المفرحة.

المُشْكِلَةُ:

في القصَّة مشاكل مبثوثة تُعرَض وتُصعَّد لإثارة أشواق القارئ، فيتأزَّم الموقف لدى شخصية أو شخصيات قصصية، ويأتي حلُّ المشكلة ليُثبِّت العملَ القصصي ويثريَه، ويدعم حيوية امتداده وتواصله.. فهناك مثلاً مشكلة الإخوة التي تمثَّلت في كيفية التخلص من يوسف، وكانت أن قدَّمت آراء أحلاها مرٌّ وخيرُها شرٌّ، لكنَّ نفس ذلك الرأي الشرير المرّ الذي اتفق عليه، قد ساهم في تدريج القصة أو بيانها بشكلها المقدَّر المرسوم، وحين استقرَّ العزم على إنفاذ هذا الرأي، برزت مشكلة إقناع الوالد بإرسال يوسف معهم. وتعقَّد الموقف ثانية، لكنه انفرج سراعاً حين أقنعوا أباهم بضرورة إشباع

حاجة اللَّعب والمرح في نفس الصبي بإرساله معهم ليرتعَ ويلعب، وتكفلهم وهم عصبة بتأمين حياته..

وهكذا تتتابع المشاكل وتتأزَّم ثمَّ تحلُّ، وتستمر القصة في النمو ولا يسلّم وعي القارئ إلى غَوْل الرتابة القاتل. ومن هذه المشاكل: مشكلة الإخوة في ستر جريمتهم عن أبيهم، مشكلة امرأة العزيز في العثور على طريقةٍ تفوز بها بمن أوتي ذلك الحسن، ومشكلتها في تسويغ مراودتها لهذا الفتى الباهرِ الجمال وإضفاءِ ثوب الشرعية والمعقوليَّة على هذه المراودةِ، مشكلة يوسف في تخطيط خطَّة واقعية مقبولة لضمِّ أخيه إليه، ومشكلات الإخوة في عدم استجابة أبيهم لطلباتهم إلاّ بعد جهود مكثفة منهم.. إلخ. وقد صنعت هذه المشاكل في نفوس الشخصيّات ألواناً من الانفعالات ودفعتها إلى اتِّخاذ مواقف متباينة، فالبطل الرئيس في القصة قد واجه مشكلة الفتنة النسائيّة المسلحة بـ (التضحية) بالحرية والمتعة وإيثار حياةِ السجن المقيَّدة الضيِّقة على حياة القصر اللاهية طمعاً في رضوان الله تعالى، أمّا الإخوة فقد دفعهم حبّ أبيهم الخاصّ لابنه المحظوظ إلى التفكير الجدي في (الانتقام)، وقد سلكَتِ امرأة العزيز المسلك نفسه في مواجهة مشكلة وَلَعِها بهذا الفتى المبتلَى فلجأت إلى التهديد والوعيد، وحدَّدت

له إحدى عقوبتين، ونفَّذت تهديدها، ورمت بيوسف عليه السلام في السجن بضع سنين، بينما تجلَّت قيم السماحة والصبر والتجاوز عن السيئات في شخصية البطل النبيّ، مقابلَ سهام الكيد الأخويّ والمكر النسائيّ.

المُناجَاةُ:

لا تخلو القصة من عنصر المناجاة مع النفس ومحاورة الذات تصريفاً لما تعانيه الشخصية من توترٍ وضيقٍ، أو أسفٍ وحزنٍ، لا تريد مواجهةَ الآخرين به.. أو المناجاة مع الله سبحانه والابتهال إليه وبثّه خطرات الوجدان، وهواتف الفؤاد وحاجات النفس، فمن أمثلة اللَّون الأول ترديد يعقوب عليه السلام لهذه الكلمات الحزينةِ مع نفسه في الخلوة ﴿ يا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾ ووصف يوسف عليه السلامُ لأفكار إخوته وسلوكهم الخاطئ باستحضاره معاني هذه العبارةِ في وعيه دون النطق بها: ﴿ قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ ﴾ وقد تكون مناجاة الشخصية للخالق إما في صورة اطلاعه.. وهو المطَّلع على داخليتها لتخفيف شدة توتّرها والتَّسرية عن مكنون معاناتها كقول يعقوب عليه السلام: ﴿ إِنَّما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾، أو في صورة دعاءٍ اضطراريٍّ ملحٍّ وتسجيلٍ لطلبٍ فوريٍّ عاجل عند مالك الملك

متمثلاً في دعاء يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾، أو في صيغةِ شكرٍ وثناءٍ وحمدٍ على آلائه سبحانه مختوم برجاءٍ شفيفٍ منه جلَّ جلاله بإتمام النعمة وإكمال الأفضال كدعاء يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصّالِحِينَ﴾.

* * *